www.dorat-ghawas.com

١١٦

المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

www.dorat-ghawas.com

محتويات العدد

المورد . العدد الرابع . المجلد التاسع والعشرون . ٢٠٠١

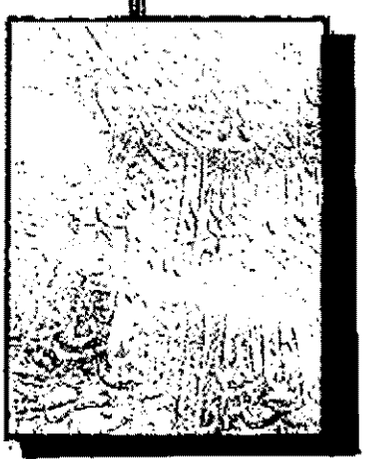

■ الموردة

• فرض الحصار واستمراره
مصلحة اميركية ـ صهيونية ..... د . محمد البكاء ٣ – ٤

■ بحوث ودراسات

• الجهاد في القرآن الكريم ..... د . محمد البكاء ٥ – ١٤
• الصف القتالي عبر الايام والليالي / عرض وتحليل ..... عبد القادر التحافي ١٥ – ٣٤
• المبرد والقراءات القرآنية ..... د . علي ناصر غالب ٣٥ – ٤١
• القراءات القرآنية الشاذة في
غريب القرآن للسجستاني ..... د . صالح مهدي عباس ٤٢ – ٥٢
• كعب بن زهير بين الغربة
والانتماء في نصه الشعري ..... د . عبد الرزاق خليفة الدليمي ٥٣ – ٦٢
• مجالس ابن الجوزي في بغداد وآثارها الاجتماعية ..... أ . د . حسن عيسى الحكيم ٦٣ – ٦٦
• مشيخة الغزاة ودورها في بلاد الاندلس ..... د . مزاحم علاوي الشاهري ٦٧ – ٧٤
• مقام الاطباء عند الخليفة المتوكل على الله ..... أ . د . بهجت كامل عبد اللطيف ٧٥ – ٨٠
• الطب العراقي واثره في الطب اللاتيني ..... د . محمود الحاج قاسم محمد ٨١ – ٨٦

■ النصوص المحققة والفهارس

• زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره ..... أ . د . ايهم عباس القيسي ٨٧ – ٩٤
• مخطوطات خزانة احمد سالم الكيلاني ..... اسامة ناصر النقشبندي ٩٥ – ١١٢

■ نقد وتعقيب

• نظرات نقدية في كتاب غرر البلاغة
في النظم والنثر للثعالبي ..... عباس هاني الچراخ ١١٣ – ١٢٢

الجديد في المكتبة

• كتاب الانبياء في العراق د . رعد شمس الدين الكيلاني
عرض : نجلة محمد ..... ١٢٣ – ١٢٥

اخبار التراث العربي ..... اعداد : حسن عربيي ١٢٦ – ١٢٨

www.dorat-ghawas.com

بحوث ودراسات

مشيخة الغزاة
ودورها في بلاد الاندلس

د. مزاحم علاوي الشاهري

قسم التاريخ - كلية التربية / جامعة الموصل

المقدمة :

مع هزيمة دولة الموحدين في موقعة العقاب Las Navas de Tolosa سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م . ومع ازدياد اسباب انحلالها ، واجه المغرب والاندلس تطورات سياسية خطيرة لم تقو الامارات الاربع الناهضة من جسد الدولة الموحدية على مواجهتها[١] وبالذات في الاندلس حيث تقوم مملكة غرناطة GRANADA وريثة الموحدين في تلك البقعة التي مثلت الجزء المتبقي من السيادة العربية في الاندلس .

واذا كانت رياح الغزو الاسباني تعصف في اوقات متفاوتة بمدن المغرب العربي فان غرناطة ما برحت تعيش هول العواصف وتعاقب الكوارث القادمة من الممالك الاسبانية وعلى وجه الخصوص قشتالة Castilla التي قادت بقية الممالك الاسبانية في مهمة القضاء نهائيا على الوجود العربي الاسلامي هناك ، في وقت غاب عن غرناطة كل ناصر ، ولم يستجب لاستغاثاتها احد من بلاد العرب المسلمين[٢] .

في ظل تلك الاوضاع بزغ أمل جديد لبني نصر ، تمثل بظهور المرينيين ، ودعمهم العسكري والمادي لهم . ذلك الدعم الذي تعددت اشكاله[٣] ، فكان من بينه ، منصب مشيخة الغزاة الذي يعتمد في تشكيلاته على المغاربة ـ جندا وقادة ـ المرابطين في ثغور غرناطة الشرقية والغربية .

ان منصب مشيخة الغزاة الذي استمر اكثر من مائة عام قد اسدى خدمات جليلة لغرناطة في ميدان المرابطة والجهاد ، لكن هذه الخدمات كانت تمثل وجها واحدا للدور الذي لعبه شيوخ الغزاة ، اذ ان الوقائع السياسية الداخلية والخارجية لغرناطة ، قد زجت بعض قادته في معترك الحياة السياسية وجعلتهم عرضة لاهوائها ونزاعاتها الدائرة في الداخل والخارج ، فاذهبت بالبعض منهم الى حتفه فيما اسهموا بدورهم في اقامة وعزل بعض امراء بني نصر .

لقد حاول البحث ان يقدم صورة دقيقة عن هذه الخطة العسكرية ، وبغية الاحاطة الدقيقة ، اعتمد البحث على المصادر التي عاصرت تلك الاحداث فكان في مقدمة من اعتمدنا عليه المؤرخ لسان الدين ابن الخطيب ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م وابن ابي زرع ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م وابن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ، غير ان الملاحظة التي تسترعي الانتباه ، ان بعضا منها قد اغفلت بعض شيوخ الغزاة[٤] ، واحيانا تباينت فيما بينها في السياق التاريخي لشيوخ الغزاة وفترات امارتهم ، الا اننا حاولنا قدر الامكان ان نصل الى تتبع تاريخي لهم ، ورصد فترات امارتهم ، والاحداث التي شاركوا فيها ، واثرها في الحياة الغرناطية على وجه التحديد .

هذا ومن الله التوفيق

www.dorat-ghawas.com

مشيخة الغزاة بين التاسيس والاستقرار :

ترجع بدايات مشيخة الغزاة الى الاحداث التي وقعت في بلاد المغرب الاقصى ومفادها قيام اولاد ادريس بن عبدالحق المريني[٥] بالثورة على عمهم السلطان يعقوب بن عبدالحق بجبال غمارة لقناعتهم باحقيتهم بالامارة منه لكن الاخير تمكن من ارضائهم عن طريق ارسالهم الى الاندلس كقادة على رأس قوة تقدر بثلاثة الاف متطوع سنة (٦٦١ هـ/ ١٢٦٣ م) لاداء فريضة الجهاد ، وفور عبور قوتهم قاد عامر بن ادريس حملة عسكرية على مدينة شريس Jerez ، فاقتحم ربضها بالسيف ، وطرد القوات القشتالية منها[٦] .

بعدها رجعوا الى المغرب لينقلبوا على عمهم مرة اخرى سنة ٦٦٩ هـ/ ١٢٧٠ م وذلك بسبب بيعة السلطان يعقوب لولده الامير عبدالواحد كولي للعهد على حكم المرينيين سيما وان الدولة الموحدية قد سقطت عاصمتها على ايديهم سنة ٦٦٨ هـ/ ١٢٦٩ م[٧] غير ان هذه المرة كان تمردهم قد اتسع وذلك بتضامن اولاد ادريس بن عبدالحق وابناء عمومتهم اولاد عبدالله ورحو وابي عباد ، فالتحقوا بجبل علودان من بلاد غمارة ، معلنين الثورة على عمهم ، الا ان حكمة السلطان يعقوب قد اذهب بريحهم ، فاخمد فورة غضبهم ، وتمكن من اقناعهم مرة اخرى ، فعفا عنهم وارسلهم الى الاندلس لقيادة المتطوعة المغاربة هناك[٨] ، فانيطت رياستهم ولاول مرة للشيخ موسى بن رحو ابن عبدالحق سنة ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤ م . ثم لاخيه عبدالحق من بعده حيث انصرف الاول الى المغرب[٩] .

وتجدر الاشارة الى ان الثورة الاولى لمشيخة الغزاة وتسمية قادتهم كانت في اول امرهم من مسؤولية الدولة المرينية فواقع هذا المنصب لم يتوضح في نظام غرناطة الا بعد الدفعات التي ارسلها المرينيون للفترة الواقعة بين سنتي ٦٦١ / ١٢٦٢ م و ٦٧٦ /١٢٧٧م الى إن العبور الى الاندلس كان يمثل رغبة دينية بالدرجة الاولى وسياسية تدافع عليها ابناء الامراء والعامة من المغرب الديني بوجه عام[١٠] .

وبطبيعة الحال فان اجازة المتطوعة وجهادهم في احواز غرناطة لم تكن بمشيئة الدولة المرينية وحدها ، بل كانت رغبة بني الاحمر حكام غرناطة ايضا . ففي واقع الحال حقق الغرناطيون امرين اولهما : كسب ود المرينيون حكام فاس من حيث توثيق الروابط العسكرية وتبادل وجهات النظر الحربية ، وليكون هؤلاء صلة الوصل[١١] ، وثانيهما تحقيق دعم عسكري ومادي لغرناطة في وقت باتت تعاني بلاد الاندلس من غياب اي شكل من اشكال الدعم العسكري بعد زوال الموحدين وانحسار دعم الحفصيين[١٢] الذي استنزفوا بطلعات قليلة الكثير من المال والرجال لحداثة نشاة دولتهم[١٣] .

على اية حال ، فقد انيطت مهمة قيادة المتطوعة لموسى ابن رحو ابن عبدالحق الذي عبر سنة ٦٧٠ هـ/ ١٢٧١ م ، ولم يلبث هناك فخلفه اخوه عبدالحق ثم تولاها ابراهيم بن عيسى ابن يحيى الوسنارمن ثم لموسى مرة اخرى ولحمو بن عبدالحق من بعده « فكانت هذه الامارة متصلة في بني رحو الى ان انتقلت منهم الى اخوانهم من بني ابي العلاء[١٤] .

ومهما يكن من امر فقد التقت رغبتا الدولتين في هذا المنصب ، ذلك المنصب الذي اصبح قوة عسكرية لها ثقلها وصنفا اساسا من صنفين في الجيش الغرناطي يخضع لادارة غرناطة ، وينفذ واجباتها ، ويرتبط رؤساؤه بحاكم غرناطة ، على ان يكون رؤساؤه من اسرة المرينيين ، يقول ابن الخطيب : « وجندهم صنفان اندلسي وبربري ، والبربري ترجع قبائله المرينية والزيانية والتجانية والعجيبية .. الى اقطاب ورؤوس يرجع امرهم الى رئيس على رؤسائهم وقلب لعرفائهم من كبار القبائل المرينية يمت الى ملك المغرب بنسب »[١٥] .

على ان وجود مشيخة الغزاة وجندها المرتبطين بالسلطان النصري لم تمنع من تواجد قوات مرينية اخرى مرتبطة بحكام المغرب تتسلم اوامرها من العاصمة فاس ، فالسلطان يوسف بن يعقوب على سبيل المثال ابقى في الاندلس ثلاثة الاف فارس بقيادة علي بن يوسف بن يرناجن سنة ٦٨٥ / ١٢٨٦ ، مهمتها شن الغارات على المدن القشتالية حسب الخطة المرسومة من قبل المرينيين[١٦] .

اما عن طبيعة مشيخة الغزاة ، فهي من الخطط التي انشات في هذه الفترة ، يعرف قائدها بـ « شيخ الغزاة » او « امير الغزاة »[١٧] او لـ « امير الجند المغربي »[١٨] او « شيخ الدولة »[١٩] وعند تعيينه يصدر سلطان بني الاحمر مرسوما بذلك ، ويعلن على الملا ، وتحدد فيه واجباته بالاضافة الى خلاصة عن سيرة هذا الشيخ »[٢٠] .

كما تتفرع عن هذا المنصب كتائب يتولاها اشخاص يمتون بصلة قربى الى الاسرة النصرية او المرينية وينوبون عن كتائبهم في « عرض مسائلهم ، وقرى وافدهم واجراء عوائدهم »[٢١] .

اما عن مواقع هذه الكتائب فتشمل ثغور غرناطة التي تشكل قواعد تتواجد فيها قوات الغزاة ، ولكنها قاعدة مجموعة من المدن

www.dorat-ghawas.com

الصغيرة ، فهناك القاعدة الغربية وهي مالقة Malaga تنتظم تحت مسؤولية قائدها مدنا مثل رنده .

ونكوان وما اليها وكذلك المرية Almeria ووادي اش Guadix[٢٢] .

اما عن اساليب قتالهم فقد كان له طابعه الخاص فهو يعتمد على اسلوب حربي اقترن باسم زناته ، فابن الخطيب مثلا يصف احد امراء غرناطة « كان زناتي الشكل والركض والاله »[٢٣] ، كما يلاحظ ايضا ان ملوك قشتالة اتخذوا فرقا الى جانب قواتهم تجاوب على طريقة الزناتيين « الخفيفة الحركة ذات الدروع الجليدية والركاب المرتفع وطريقة الكر والفر في القتال ، واطلقوا عليهم اسم (Jiuete) وهو لفظ مشتق من زناته[٢٤] .

جهود شيوخ الغزاة العسكرية في بلاد الاندلس :ـ

ابلى شيوخ الغزاة بلاء حسنا في حماية ثغور غرناطة ، وتدافعوا في سوح الجهاد ، مستبسلين في صد الهجمات الخارجية ، فقد خاضوا معارك مهمة بوجه الممالك الاسبانية منذ الوهلة الاولى لعبورهم فقد تمكن قائدهم عامر بن ادريس ان يخوض معركة ضد القوات القشتالية تمكن فيها من اعادة شريش الى احضان غرناطة وان ذلك لفترة قصيرة[٢٥] ، كما شهدت سنة ٦٧٩ هـ/ ١٢٨٠ معركة قادها تاشفين بين معطي وطلحة بن محلى ضد القوات القشتالية التي زحفت تجاه غرناطة وقد تمكنا من ايقاف زحفها[٢٦] .

كما يظهر دور مشيخة الغزاة في عهد عبدالله بن ابي العلاء الذي خاض سلسلة من المعارك حتى استشهد وهو في عدة الجهاد سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣ فقدم السلطان النصري اخاه عثمان بن ابي العلاء الذي كان قائدا على الحامية في مالقه والمناطق المجاورة لها ، ليصبح بعد ذلك قائدا عاما للمحاربين من المغاربة[٢٧] .

ثم تاتي سنة ٦٩٥ هـ/ ١٢٩٥ ليساهم المتطوعة المغاربة بقيادة اميرهم تحت لواء بني الاحمر في فتح قيجاطة ، حصار القنداق Alcaudete سنة ٦٩٩ هـ/ ١٢٩٩ م[٢٨] .

اما في سنة ٧٠٩ / ١٣٠٩ فقد تصدى شيوخ الغزاة قوات قشتالة المتوجهة نحو مرشانة ، وتمكن القائد عثمان ابن ابي العلاء من القضاء على القوات القشتالية ، ثم تقدم باتجاه القوات القشتالية المحاصرة لسماته واسطبونه Estepona حيث اشتبك العباس بن رحو وعثمان بن ابي العلاء في معركة ضد القوات القشتالية في اسطبونة وقتل قائدها « بيرش » واكثر من ثلاثة الاف قشتالي ، بعدها بعث ملك قشتالة فرديناندو الرابع الذي كان محاصرا لجبل طارق ببعض قوات لكنها فشلت حتى هلك سنة ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م[٢٩] .

على ان المعركة التي اظهرت مكانة مشيخة الغزاة ودورهم في حماية غرناطة هي المعركة الكبيرة التي حدثت في سنة ٧١٩ هـ/ ١٣١٩ م ، ومجرياتها ابتدأت بزحف اعداد كبيرة من القوات القشتالية وتمكنت من الوصول الى مرج غرناطة ، وظن الكثير ان نهاية غرناطة قد اوشكت ، يقود الحملة اثنان من القادة هما الدون جوان والدون بدرو ، وهما من الاوصياء على عرش الفونسو الحادي عشر القاصر في حينها ، ومدعمين بقوات عسكرية بلغت نحو خمسة وثلاثين الفا من الفرسان وعلى نحو الف من الرجالة المقاتلة[٣٠] .

وما ان عرف اهل غرناطة باخبار الحملة حتى ارسلوا صريخهم الى السلطان المريني عثمان بن يعقوب المعروف بابي سعيد الذي لم يستجب في وقتها ، فلم يكن امام الغرناطيين غير الاعتماد على انفسهم ، فتقدم الشيخ عثمان بن ابي العلاء بفرسانه ومن التحق معه ، وباسلوبهم المتميز ، تمكنوا من اختراق الجيش القشتالي وخلخلة صفوفه ، حتى تمكن المغاربة من قتل قائدي الحملة بعد ان دامت ثلاثة ايام ، كما علقت جثة قائدها الدون بدرو على ابواب غرناطة دليلا على انتصار المسلمين ، وعبرة لمن يفكر في غزوها مرة اخرى[٣١] . كما مكنت في حينها غرناطة من السيطرة على مدن مثل تشقار واورش وغالبير ومارطوش[٣٢] ، والسيطرة على مدينة مرتوس Martos سنة ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥[٣٣] .

على ان جهود شيوخ الغزاة لم تتوقف عند ذلك فبعد ان توفي عثمان بن ابي العلاء سنة ٧٣٠ هـ/ ١٣٢٩ خلفه ولده عامر ابن عثمان الذي سار على منهج ابيه و « عظم شانه قوة وشكيمة »[٣٤] . كما وصفه ابن الخطيب بـ « قريع دهره في الذكاء والدهاء المسلم له في الرتبة عناقا ورايا وثباتا »[٣٥] ، ثم تعاقب عليها بعده عدد من الشيوخ[٣٦] حتى انتهت من نظام الجيش في غرناطة بمحوها من قبل السلطان محمد الخامس بامارته الثانية سنة ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨ وتولى قيادتها بنفسه[٣٧] .

www.dorat-ghawas.com

آثار مشيخة الغزاة على الحياة السياسية الداخلية والخارجية :ـ

فرضت الاوضاع الداخلية والخارجية لمملكة غرناطة واقعها على مواقف شيوخ الغزاة ودفعتهم مرة الى تبني مواقف املتها طبيعة الاحداث ومرة ثانية الى اظهار نياتهم السياسية ان كان على الصعيد الداخلي المتمثل بغرناطة كما وصف حالهم ابن خلدون « لما تزاحمهم مناكب السلطان في قومهم وتغص بهم الدولة فينزعون الى الاندلس مغذين بها من باسهم وشوكتهم في المدافعة عن المسلمين ويخلصون من ذلك على حظ من الدولة بمكان »[٣٨] .

او على الصعيد الخارجي ونعني بذلك في علاقتهم مع بني عمومتهم سلاطين بني مرين ، حيث اتبع بنو الاحمر اسلوب المناورة احيانا مع المرينيين ، فكان شيوخ الغزاة اداة لسياسة غرناطة في الاستظهار بهم على ابناء عمومتهم[٣٩] .

على ان رياح السياسة النصرية كثيرا ما تحولت الى عواصف اقتلعت بعضهم من خلال نفس الاداة التي حركوها في اوقات اخرى ، والسبب في ذلك يعود الى ضعف النصريين بسبب الظروف الداخلية والخارجية من جانب وقوة شيوخ الغزاة من جانب اخر . الامر الذي مكنهم احيانا من استخدام قوة السيف ضد النصريين ومقاسمتهم اكثر الجباية في الاعطية والارزاق دون ان يظهروا اي رد فعل وذلك للحاجة القتالية التي لا تستطيع غرناطة الاستغناء عنها[٤٠] .

على اية حال فان المتتبع لتاريخ بني الاحمر سيلحظ ذلك ، فعلى صعيد تأثيرهم في الحياة الداخلية ، يظهر ذلك واضحا اثناء حكم نصر بن محمد (٧٠٨ ـ ٧١٣ / ١٣٠٨ ـ ١٣١٣) فبينما كان عثمان بن أبي العلاء قائدا على حامية مالقة ، داخله ابن عم السلطان اسماعيل بن فرج واقنعه بالخروج على السلطان ، فوافق عثمان بن ابي العلاء ، وزحف تجاه غرناطة سنة ٧١٣ / ١٣١٣ ، وتم لهم ما ارادوا ، وخلعوا السلطان ، وتمت البيعة لابي الوليد اسماعيل بن فرج (٧١٣ ـ ٧٢٥ / ١٣١٢ ـ ١٣٢٤) وجزاء ذلك عين السلطان الجديد عثمان ابن العلاء اميرا عاما على الغزاة وانتقل معه الى العاصمة فيما خلع امير الغزاة عبدالحق بن عثمان[٤١] ايضا والتحق بسلطانه الذي اقام في وادي آش[٤٢] .

ثم تتكرر النزاعات مرة اخرى ، ففي عهد السلطان محمد الرابع (٧٢٥ ـ ٧٣٣ / ١٣٢٥ ـ ١٣٣٣) الذي نصب بعد اغتيال ابيه ، وهو لما يزل لم يبلغ الحلم ، حصل ان إستبد بامره وزيره محمد بن المحروق الذي حاول مضايقة عثمان بن ابي العلاء ، فاضطر الاخير الى مغادرة غرناطة حيث أستقر بمرسى الحرية في ١٨ صفر سنة ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م وبينما هو يكثر من معاونيه في حصن اندراش من ضواحي المرية ، اتصل بملك قشتالة الذي شجعه وحثه على القتال ، فاحتل حصن وبرده وما اليه من الحصون ، وقامت معارك عديدة مع الوزير الغرناطي انتهت بمقتل الاخير وعودة عثمان بن أبي العلاء اميرا على الغزاة حتى وفاته سنة ٧٣٠ / ١٢٢٩[٤٣] . ليخلفه في مكانه ولده عامر ، على ان السلطان محمد الرابع[٤٤] لم يسلم من بطش شيوخ الغزاة ، فحينما عبر الى المغرب سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ للقاء السلطان علي بن عثمان المريني[٤٥] بشان جبل طارق وسيطرة قشتالة عليه واثناء دعوته الى الاندلس عرف بنو العلاء ان في المباحثات التي جرت بين الطرفين امرا ضدهم[٤٦] ، لذلك دبروا له مكيده ، فنصبوا له كمينا بضفة وادي السقائين ، وبينما كان السلطان في طريقه قتلوه في يوم الاربعاء الثالث عشر من ذي الحجة سنة ٧٣٧ / ١٣٣٦ .

واعلنوا عن تعيين لخيه السلطان يوسف الاول (٧٣٣ ـ ٧٥٥ / ١٣٣٢ ـ ١٣٥٤)[٤٧] الا ان الاخير خشي على نفسه من اسرة بني العلاء وشيخها عامر بن عثمان ، فتحين الفرصة بهم ، وتمكن من القاء القبض عليهم ، وغربهم الى افريقية حيث نزلوا عند السلطان الحفصي ابي يحيى[٤٨] ، ثم عين بدلا عنه الشيخ يحيى بن عمر سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ وظل ملازما لابي الحجاج ، موديا واجباته بكفاية عالية حتى اذا هلك السلطان في عيد الفطر سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤[٤٩] ، وبويع بدلا عنه ولده محمد بن يوسف ٧٥٥ ـ ٧٦٠ / ١٣٥٤ ـ ١٣٥٨ ، استمر الحاجب رضوان وشيخ الغزاة يعملان على تسيير شؤون الحكم حتى نشبت الفتنة التي دبرها ابن عم السلطان محمد ابن اسماعيل الذي نصب اخا السلطان اسماعيل بدلا عنه ، وقتل الحاجب رضوان ، وعين ادريس بن عثمان شيخا للغزاة بدلا عن يحيى الذي تردد في مبايعة السلطان الجديد[٥٠] وقد هرب يحيى مضطرا الى تخوم قشتالة[٥١] .

لكن موجة الاضطرابات لم تهدأ اذ اطاحت باسماعيل الثاني الذي دام حكمه اقل من سنة ، ليسيطر على الحكم محمد السادس الملقب بالغالب بالله[٥٢] ، حيث قام بانقلاب في ٨ شعبان سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ وقد حاول ملاحقة السلطان المخلوع محمد

www.dorat-ghawas.com

الخامس وذلك عن طريق الاتصال بالسلطان المريني ابي سالم[٥٢] الذي طلب منه حجزه عنده في فاس لقاء اعتقال اولاد عمه من مشيخة الغزاة ، لكن هذا الاتفاق ذهب سريعا اذ سرعان ما انقلب سلطان المغرب عليهم ، مقدما للسلطان النصري محمد الخامس كل الدعم لاستعادة عرشه[٥٤] ، وما ان استعاد عرشه حتى عين الشيخ يحيى بن عمر اميرا على الغزاة وقربه اليه لكن الملفت للنظر انه سرعان ما انقلب عليه واودعه السجن هوواولده[٥٥] .

وليعلن عن تعيين الشيخ علي بن بدر الدين بن محمد بن رحو ، يقول ابن الخطيب[٥٦] ، وقبض عليه وعلى ابنه فاركبه الادهم الحرون واسكنه الطبق بقصبة المذكب سنة ٧٦٤ هـ فاستلبه جاها عريضا وملكا كبيرا واحاق به مكروها مبيراً ثم بوفاة الاخير قام بتعيين الامير عبدالرحمن بن ابي يفلوسن[٥٧] .

لقد ادرك محمد الخامس من خلال استقراء ذكي للاحداث الداخلية والخارجية ان الفرض الاساسي من وجود مشيخة الغزاة قد انتهى بل انهم شكلوا عبئاً عليه ، ومنافسة له في ملكه ، لذلك استغل ضعفهم ، ورغبة البلاط المريني ، فاعلن عن محوها من بلاده وقاد تشكيلاتها بنفسه سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ وحتى مرت سنوات ليقودها ابناؤه[٥٨] من بعده .

اما مصير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن فلم يكن افضل من حظ الذي سبقه اذ سرعان ما تحركت خيوط الاتفاقات بين البلاطين النصري والمريني ، فاعتقلته تحسيناً للعلاقات الجديدة مع سلطان المغرب عبدالعزيز بن ابي الحسن ، ثم اطلق سراحه بعد ان آل الامر الى الوزير ابي بكر بن غازي ، ليرسله الى المغرب داعيا له ، ومزودا بقوة عسكرية لا يستهان بها[٥٩] .

ومن المؤسف ان تلاحظ ان الظروف السياسية قد الجات بعض شيوخ الغزاة الهرب والاقامة في بلاط قشتالة وبرشلونة ، فهذا يحيى بن عمر بن رحو يهرب ومعه اكثر من مائتي فارس ليقيم في عهد ملكها بدور الاول الملقب بالقاسي[٦٠] .

في حين ان شيخ الغزاة ادريس بن عثمان بن ابي العلاء كان قد امضى سنوات في برشلونة عند بطرس الرابع ، وبقيت صلاتهما قائمة حتى انه اراد ان يحول محمد الخامس عن محالفة قشتالة له وتقريبه الى صديقه[٦١] ، كذلك كانت هذه الاقامة سبباً في استمرار الرسائل وتبادل الهدايا والتشاور في مجريات الامور[٦٢] .

يضاف الى ذلك فقد سعت غرناطة في اوقات انشغال المريديين باوضاع بلادهم الداخلية الى دفع شيوخ الغزاة المطالبة بعرش البلاد ، ولعل المثال الواضح هو الدعم الذي لقيه عثمان ابن ابي العلاء عندما احتل سبتة ، وظل مقاوما ثلاثة سلاطين مريديين تعاقبوا عليه دون ان يظفروا به لهربه في الاخير وعودته الى الاندلس[٦٣] .

على ان هذا الدعم حالما يتحول في اوقات اخرى الى ضعف وتنصل عن شيوخ الغزاة من قبل ابي نصر ، فعلى سبيل المثال سعى السلطان عثمان بن يعقوب[٦٤] المعروف بابي سعيد الى ارسال عثمان بن ابي العلاء واولاده له ، فرفض بنو الاحمر طلبه ، في حين استجابوا لطلب ولده علي بن عثمان واعتقلوا اسرة بني العلاء وجردوهم من وظائفهم وانتهى مصيرهم رغم جهودهم بنفيهم خارج الاندلس ، حيث نزلوا عند السلطان الحفصي[٦٥] طالبين شفاعته وكرمه في التماس العفو عنهم من قبل الخليفة المريني ابي الحسن الذي استجاب اول الامر لكنه سجنهم في فاس حتى اطلق سراحهم بعد ذلك ولده السلطان ابو عنان[٦٦] .

من كل ما تقدم يتبين ان بني الاحمر قد تعاملوا مع شيوخ الغزاة حسب طبيعة المناخ السياسي السائد مع المريديين ، وتحديدا وفق مبدأ ايهما انفع واكثر اهمية وتاثيرا في الاحداث الداخلية والخارجية لمملكة غرناطة .

يضاف الى ذلك ، ان اهمية هذه الخطة العسكرية قد اذهبت بحسناتها الاحداث الداخلية التي زج فيها شيوخ الغزاة ، كما ان دورهم الواضح خلال مائة عام في حماية القواعد الشرقية والغربية للاندلس قد تلاشى ، وسبب فراغا وتصدعا في المواجهة العربية ، وللتدليل على ذلك يكفي ان نشير الى ان الفتنة التي وقعت بين الوزير محمد المحروق وعثمان بن ابي العلاء قد اتاحت لقشتالة فرصة في اجتياح ثغر البيرة والحصون المجاورة له[٦٧] .

واخيرا فان ما قدموه للمتطوعة المغاربة في خطة مشيخة الغزاة تعد ظاهرة سياسية وعسكرية لها اهميتها ، اظهرت من جانب حالة التضامن بين العرب والمسلمين من اجل حماية اخر صرح عربي في اندلس الحضارة العربية . كما كشفت عن حالة غرناطة السياسية والعسكرية والهجمات التي تتعرض اليها ، بل ان معاناتها العسكرية قد تكون وجها يسوغ مواقف حكامها من اجل استمرار الوجود العربي الاسلامي في الاندلس .

www.dorat-ghawas.com

جدول بامراء بني نصر وشيوخ مشيخة الغزاة

محمد بن الاحمر « الغالب بالله » ٦٣٥ - ٦٧١/ ١٢٣٧ - ١٢٧٢ م	عامر بن ادريس + عبدالله بن ابي العلاء
محمد الثاني الفقيه ٦٧١ - ٧٠١ هـ/ ١٢٧٢ - ١٣٠١ م	موسى بن رحو + عبدالحق بن رحو + ابراهيم الوسناني + موسى بن رحو
محمد الثالث - المخلوع ٧٠١ - ٧٠٨ هـ/ ١٣٠١ - ١٣٠٨	حمو بن عبدالحق
نصر « ابو الجيوش » ٧٠٨ - ٧١٣ هـ/ ١٣٠٨ - ١٣١٣ م	حمو بن عبدالحق + عبدالحق بن عثمان
ابو الوليد اسماعيل الاول ٧١٣ - ٧٢٥ هـ/ ١٣١٣ - ١٣٢٤ م	عثمان بن ابي العلاء
ابو عبدالله محمد الرابع ٧٣٥ - ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٤ - ١٣٣٢	عثمان بن ابي العلاء + يحيى بن عمر بن رحو + عثمان بن ابي العلاء + عامر بن عثمان بن ابي العلاء
يوسف الاول « ابو الحجاج ٧٣٣ - ٧٥٥ هـ/ ١٣٣٢ - ١٣٥٤ م	عامر بن عثمان + يحيى بن عمر بن رحو
محمد الخامس « المغني بالله » ٧٥٥ - ٧٦٠ هـ/ ١٣٥٤ - ١٣٥٨ م	يحيى بن عمر
اسماعيل الثاني ٧٦٠ - ٧٦١ هـ/ ١٣٥٨ - ١٣٥٩ م	يحيى بن عمر + ادريس بن عثمان
ابو عبدالله بن ابي الوليد بن ابي محمد المعروف « البرميخو » ٧٦١ - ٧٦٣ هـ/ ١٣٥٩ - ١٣٦١ م	ادريس بن عثمان
محمد الخامس الغني بالله ٧٦١ - ٧٩٢/ ١٣٦١ - ١٣٨٩	يحيى بن عمر + علي بن بدر الدين + عبدالرحمن بن علي بن يغلوسن

www.dorat-ghawas.com

الهوامش

(١) وهم الحفصيون في تونس والزيانيون في الجزائر والمرينيون في المغرب الاقصى وغرناطة في القسم الجنوبي من اسبانيا ، جوليان ـ شارل اندريا ـ تاريخ افريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر (تونس : ١٩٨٥ ٢/١٧٣) .

(٢) فقد العرب المسلمون في الاندلس خلال فترة حكم مؤسس غرناطة من المدن والحصون مائة وخمسة ، منها في سنة ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٦ م نحو اربعين سورا واكثرها في غرب الاندلس ومن جملتها شريش والمدينة والقلعة وبجير ، ابن عذارى ـ البيان المغرب في اختصار ملوك الاندلس والمغرب ، نشر محمد بن تاويت واخرون ، معهد مولاى الحسن (تطوان : ١٩٦٤) ٣ / ٤٧٠ عنان ـ محمد عبدالله ـ نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ٣٧٠ (القاهرة : ١٩٥٨) ١٦ .

٣) محمد ـ مزاحم علاوي ـ الدور السياسي والعسكري ليعقوب ابن عبدالحق المريني في بلاد الاندلس ، مجلة المؤرخين العرب ـ الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب (بغداد : ١٩٨٩) عدد ١٨ ٩٤٠ وما بعدها ، الدولة المرينية في عصر ابي الحسن علي ابن عثمان رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب في جامعة الموصل ١٩٨٥ ، ٥٣ ـ ٦٨ .

٤) لم يذكر ابن الخطيب شيئا عن منصب شيوخ الغزاة حتى عهد الامير ابي الوليد اسماعيل بن فرج وهو السلطان الخامس الذي حكم للفترة من ٧١٣ هـ ـ ٧٢٥ هـ وكذلك تجاهل بعض الشيوخ المجايلين له في عهد محمد الخامس في امارته الثانية من بينهم علي بن بدر الدين ت ٧٦٨ هـ/ ١٢٧٠ واخرهم عبدالرحمن بن علي ابن يفلوسن الذي تولاها حتى سنة ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨ م ، قارن ابن الخطيب ـ الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان نشر مكتبة الخانجي (القاهرة : ١٩٧٤) ٢/٣٨ ـ ٣٩ اللمحة البدرية في الدولة النصرية ـ ص ٢١ ، دار الافاق الجديدة (بيروت) ١٩٨٠ ، ٨٠ ، ١٣٠ وابن خلدون ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة الاعلمي (بيروت ، ١٩٥٩) ٧/ ٣٦٦ وما بعدها .

٥) قتل ادريس بن عبدالحق ووالده في معركة بالقرب من وادي سبور على بعد اميال من تافر طاست مع عرب رياح وكان ادريس هو الابن البكر لابيه ، ابن مرزوق ـ المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية (الجزائر : ١٩٨١) ١١١ ـ ١١٢ .

٦) ابن ابي زرع ـ الانيس المطرب بروض القرطاس ، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط ١٩٧٣) ٣٠٣ ، الذخيرة السنية في اخبار الدولة المرينية ، نشر دار المنصور (الرباط : ١٩٧٣) ١٠٠ ـ ١٠١ .

المقرى ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب تحقيق احسان عباس (بيروت : ١٩٦٨) ١ / ٤٤٨ .

(٧) سقطت الدولة الموحدية وعاصمتها مراكش سنة ٦٦٨ هـ/ ١٢٦٩ م فاختار المرينيون فاسا عاصمة لهم بدلا من مراكش ، وكان هذا على يد مؤسس دولتهم السلطان يعقوب بن عبدالحق : مجهول ـ الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق د . سبيل زكار وعبدالقادر زمامة دار الرشاد الحديث الدار البيضاء ، ١٩٧٩) ١٧١ .

(٨) الناصري ـ الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى تحقيق جعفر ومحمد الناصري الدار البيضاء (٥٤ ـ ٩٥٩) ٣/ ٢٣ ـ ٢٩ ـ ٣٠ .

(٩) ابن خلدون العبر : ٧/ ٣٦٨ .

(١٠) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٦٦ .

(١١) المقرى ـ نفح الطيب ١ / ٤٥٢ ، شبانة كمال محمد ـ يوسف الاول بن الاحمر ، نخبة البيان العربي (الرباط : ١١٦٩) ٨٣ .

(١٢) قامت الدولة الحفصية في تونس واعلن عن تاسيسها واستقلالها عن الدولة الموحدية ابو زكريا الحفصي سنة ٦٢٤ هـ/ ١٢٣٦ م للمزيد ينظر جوليان ـ شارل اندريا ـ تاريخ افريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة الدار التونسية للنشر (تونس : ١٩٨٥) ٢ / ١٧٣ وما بعدها .

(١٣) ابن خلدون ـ العبر : ٧/ ٣٦٦ .

(١٤) العبر ـ ٧ / ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

(١٥) اللمحة البدرية : ٣٩ .

(١٦) ابن ابي زرع ـ الانيس المطرب : ٣٧٦ ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

(١٧) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٦٨ .

(١٨) ابن الخطيب ـ نفاضة الجراب في علالة الاغتراب نشر وتعليق د . احمد مختار العبادي ، دار الشؤون الثقافية في بغداد : بلا ، ١١ .

(١٩) ابن الخطيب ـ نفاضة الجراب تحقيق احمد مختار العبادي ، دار الكتاب ، القاهرة بلا ، ٢ / ٦٩ ـ ٧٠ .

(٢٠) قدم لنا ابن الخطيب في ريحانة الكتاب بعض المراسيم التي تصدر عن السلطان النصري منها الظهير القاضي بتعيين يحيى بن عمر وادريس بن ابي العلا وابي الحسن علي بن بدر الدين ينظر : ٢ / ٦٤ ـ ٦٩ .

(٢١) ابن الخطيب ـ ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب : تحقيق محمد عبدالله عنان ، نشر مكتبة الخانجي (القاهرة : ٨١) ٢ / ٨٩ .

(٢٢) ابن الخطيب ـ نفاضة الجراب : ٢ / ٧٠ .

(٢٣) العبادي ـ مقدمة نفاضة الجراب : ١٧ .

(٢٤) العبادي : مقدمة نفاضة الجراب : ١٧ .

(٢٥) ابن ابي زمس الذخيرة السنية : ١١٢ : عنان ـ محمد عبدالله ـ نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ط ٢ (القاهرة : ١٩٥٨) ٤٠ .

(٢٦) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٦٨ .

(٢٧) المقري ـ نفح الطيب : ١ / ١٤٩ ـ ٤٥١ .

(٢٨) ابن الخطيب ـ اللمحة البدرية : ٥٣ ـ ٥٤ ، يضيف مارمول ان معركة وقعت بين جيان وارجونه قتل فيها الدون ادريق ، ويحلول فصل الربيع حاصر المرب مدينة جيان ودخلوا ارباضها ، وقتلوا عاملها هذريق بيريزدي ارانا وهو عامل الدون فرناده ثم فتحوا قيجاطه ينظر ، افريقيا ، ترجمة محمد حجي واخرون ، نشر مكتبة المعارف

www.dorat-ghawas.com

(الرباط : ١٩٨٤) ١/ ٢٩٥ .

(٢٩) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٢٤٩ ، فرحات يوسف تنكري ـ غرناطة في ظل بني الاحمر ، ١٧ المؤسسة الجامعية للدراسات (بيروت : ١٩٨٢ : ٣٩ ـ ٤٠ .

(٣٠) الناصري ـ الاستقصا : ٣ / ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٣١) ابن الخطيب / اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام تحقيق ليفي بروفنسال دار المكشوف (بيروت ، ١٩٥٦) ٢٩٥ ابن خلدون ـ العبر : ٤ / ١٧٣ ، ٧ / ٣٧١ ، الحجي عبدالرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة : ١٧ (دمشق ١٩٧٦) ٥٢٥ . فرحات . غرناطة في ظل بني الاحمر : ٤١ .

(٣٢) مارمول ـ افريقيا : ١ / ٣٩٨ .

(٣٣) المقري ـ نفح الطيب ١ / ٤٤٩ ، فرحات : غرناطة في ظل بني الاحمر : ٤١ .

(٣٤) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٢٧٢ .

(٣٥) اللمحة البدرية : ٣ / ١٠٥ .

(٣٦) تولاها بعد ذلك يحيى بن عمر ثم ادريس بن عثمان بن ابي العلاء ثم علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو ثم اخرهم عبدالرحمن بن علي ابي يفلوسن الذي اعتقله رغبة في توثيق العلاقة مع القائم بحكم المغرب انذاك ابي بكر بن غازي للمزيد ينظر العبر : ٧ / ٣٧٤ ـ ٣٧٧ ، المقري ـ نفح الطيب : ٥ / ٨٤ ـ ٩٥ .

(٣٧) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٧٨ ، في حين يشير العبادي انه الفاها سنة ٧٧٥ / ١٣٧٣ . ينظر نفاضة الجراب ـ المقدمة : ١٧ .

(٣٨) العبر : ٤ / ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٣٩) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٦٧ .

(٤٠) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٧٧ .

(٤١) توفي في سنة ٧٣٨ هـ / في تلمسان للمزيد ينظر ابن الخطيب ـ الاحاطة : ٣ / ٥٣٧ .

(٤٢) ابن خلدون ـ العبر : ٤ / ١٧٣ ـ ٧٠ / ٣٧١ ، فرحات ـ غرناطة في ظل بني الاحمر : ٤٠ .

(٤٣) ابن الخطيب ـ اعمال الاعلام : ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

(٤٤) وصفه ابن الخطيب بانه « كان شرها لسانه غير جزوع » وقد توغرت عليه صدور رؤساء . جنده المغاربة ، اللمحة البدرية : ٩٦ .

(٤٥) هو ابو الحسن علي بن عثمان حكم المغرب الاقصى من سنة ٧٣١ هـ / ١٣٣١ م ولغاية ٧٥٢ / ١٣٥٢ م وقد اعتبره المؤرخون اقوى ملك في القرن الرابع عشر الميلادي للمزيد ينظر محمد مزاحم علاوي ـ الدولة المرينية في عصر ابي الحسن : ٣٣ وما بعدها .

(٤٦) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٧٢ .

(٤٧) ابن الخطيب ـ اعمال الاعلام : ٣٩٨ ، اللمحة البدرية : ٩٧ .

(٤٨) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٧٢ ـ ابن الخطيب ـ اللمحة البدرية : ١٠٥ .

(٤٩) ابن الخطيب ـ اعمال الاعلام : ٢٠٦ .

(٥٠) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٣٤ وما بعدها .

(٥١) العبادي احمد ـ مختار ـ فترة مضطربة في تاريخ غرناطة ـ صحيفة معهد الدراسات الاسلامية (مدريد ـ ٥٩ ـ ٦٠) م ٧ و ٨ / ٦٦ .

(٥٢) تلقبه المصادر الاسبانية بابي سعيد البرميخو وذلك نسبة الى لون لحيته وشعره ، ينظر العبادي ـ فترة مضطربة في تاريخ غرناطة : ٤٣ .

(٥٣) اصبح ملكا على المغرب (٧٥٩ ـ ٧٦٣ هـ/ ١٣٥٧ ـ ١٣٦١ م) .

(٥٤) ابن الخطيب ـ نفاضة الجراب : ١٨٣ وما بعدها .

(٥٥) يذكر المقري ان عثمان بن يحيى بن عمر كان قد لحق اباه حيث استقر في بلاط قشتالة ، ازهار الرياض في اخبار عياض ـ نشر اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي (الرياض ، ١٩٧٨) ١ / ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

(٥٦) اللمحة البدرية : ١٣٠ المقري ـ ازهار الرياض : ١ / ٣٠٩ ، ويذهب ابن خلدون الى ان اعتقال يحيى بن عمر كان تدبيرا من ابن الخطيب حرصا على اخلاء الجوله ، العبر : ٤ / ١٧٥ .

(٥٧) ابن خلدون ـ العبر : ٧/ ٣٧٧٦ ، المقري ـ ازهار الرياض : ١ / ٢١٠ .

(٥٨) العبر : ٧ / ٦٧٨ ، وينظر الى الظهيرين اللذين اعلنهما السلطان محمد بتوليه ولديه عبدالله والاسعد .

ابن الخطيب ـ ريحانة الكتاب ونجمة المنتاب ٢ / ٧٣ ـ ٨٠ .

٢ / ٧٣ ـ ٨٠ فرحات ـ غرناطة في ظل بني نصر : ٤٩ .

(٥٩) تمكن عبدالرحمن ان يقاسم ابا بكر ملك المغرب ، فاستقر بمراكش ليكون وادي ملوية حدا فاصلا بين الحاكمين للمزيد ينظر ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٩٩ ـ ٢٧٨ .

(٦٠) ابن خلدون ـ العبر : ٧ / ٣٧٤ ـ ٣٧٥ .

(٦١) ابن الخطيب ـ الاحاطة : ١ / ٥٢٩ ـ ٥٣٠ ، فرحات غرناطة في ظل بني نصر : ٨٩ .

(٦٢) من بين الرسائل رسالة موجهة من الدون خايم الثاني ملك اراغون الى شيخ الغزاة ادريس بن عثمان مؤرخة في ١٨ ربيع الثاني ٨٢١ هـ للمزيد ينظر حمادة محمد مسافر الوثائق السياسية والادارية في الاندلس وشمال افريقيا ط ١ مؤسسة الرسالة (بيروت : ٤٦٠ ـ ١٩٨٠) .

(٦٣) ينظر عن هذه الاحداث ابن ابي زرع ـ الانيس المطرب : ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ، ٣٩٤ ، العافية عبدالقادر ـ الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون واحوازها ـ وزارة الاوقاف مطبعة فضالة (المحمدية ـ ١٩٨٣) ٢٩ ـ ٣١ .

(٦٤) حكم الدولة المرينية للفترة الواقعة بين سنتي ٧١٠ ـ ٧٣١ هـ / ١٣١٠ ـ ١٣٣١ .

(٦٥) هو ابو يحيى بن ابي زكريا ، حكم الدولة الحفصية منذ سنة ٧١٧ هـ وحتى ٧٤٧ هـ للمزيد عنه ينظر ابن القنفذ ـ الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبدالمجيد التركي الدار التونسية للنشر (تونس ١٩٧٨) : ١٦٠ ـ ١٦٨ .

(٦٦) الناصري ـ الاستقصا : ٣ / ١٣٩ .

(٦٧) ابن الخطيب ـ الاحاطة : ١ / ٥٣٥ ـ ٥٣٦ .